محاضرة حول:

النظرية التفاعلية الرمزية

تمهيد.

أولا- مفهوم النظرية التفاعلية الرمزية.

ثانيا- نشأة وتطورت النظرية التفاعلية الرمزية.

ثالثا- مفاهيم وفرضيات النظرية التفاعلية الرمزية.

رابعا- أهم رواد النظرية التفاعلية الرمزية.

خامسا- أسس النظرية التفاعلية الرمزية.

سادسا- أهم الانتقادات الموجهة للنظرية التفاعلية الرمزية.

خلاصة.

يمكنك الولوج إلى المحاضرات من خلال مسح رمز : QR Code

أو الولوج للمحاضرات من خلال الرابط الإلكتروني التالي:

https://elearning.univ-msila.dz/moodle/course/view.php?id=10817

تمهيد:

يعد منظور التفاعل الرمزي، والذي يُسمى أيضا التفاعل التفاعلي إطارا رئيسيا للنظرية الاجتماعية. يعتمد هذا المنظور على المعنى الرمزي الذي يطوره الناس ويبني عليه في عملية التفاعل الاجتماعي. على الرغم من أن التفاعل الرمزي يرجع أصله إلى تأكيد ماكس فيبر على أن الأفراد يتصرفون وفقا لتفسيرهم لمعنى عالمهم، فإن الفيلسوف الأمريكي جورج هربرت ميد قدم هذا المنظور لعلم الاجتماع الأمريكي في عشرينيات القرن العشرين .

وتقوم نظرية التفاعل الرمزية بتحليل المجتمع من خلال معالجة المعاني الذاتية التي يفرضها الناس على الأشياء والأحداث والسلوكيات. تعطى المعاني الذاتية أولوية لأنه يُعتقد أن الناس يتصرفون بناء على ما يؤمنون به وليس فقط على ما هو حقيقي موضوعيا. وهكذا يعتقد أن المجتمع يتم بناؤه اجتماعيا من خلال التفسير البشري وفق منظور التفاعلية الرمزية. ولفهم ذلك نطرح مجموعة من الأسئلة كمايلي:

- **ما مفهوم النظرية التفاعلية الرمزية؟.**
- **كيف نشأة وتطورت النظرية التفاعلية الرمزية؟.**
- **ما هي مفاهيم وفرضيات النظرية التفاعلية الرمزية؟.**
- **من هم أهم رواد النظرية التفاعلية الرمزية؟.**
- **ما هي أسس النظرية التفاعلية الرمزية؟.**
- **ما هي أهم الانتقادات الموجهة للنظرية التفاعلية الرمزية؟.**

1- مفهوم النظرية التفاعلية الرمزية:

تعتبر التفاعلية الرمزية واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية، في تحليل الأنساق الاجتماعية، وهي تبدأ بمستوى الوحدات الصغرى، منطلقة منها لفهم الوحدات الكبرى؛ بمعنى أنها تبدأ بالأفراد وسلوكهم كمدخل لفهم النسق الاجتماعي، فأفعال الأفراد تصبح ثابتة لتشكل بنية من الأدوار ويمكن النظر إلى هذه الأدوار من حيث توقعات البشر بعضهم تجاه بعض من حيث المعاني والرموز وهنا يصبح التركيز إما على بنى الأدوار والأنساق الاجتماعية، أو على سلوك الدور والفعل الاجتماعي، ومع أنها ترى البنى الاجتماعية ضمنيا، باعتبارها بنى للأدوار بنفس طريقة بارسونز، إلا أنها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوى الأنساق، بقدر اهتمامها بالتفاعل الرمزي المتشكل عبر اللغة والمعاني، والصور الذهنية، استنادا إلى حقيقة مهمة، هي أن على الفرد أن يستوعب أدوار الآخرين، وعليه فالتفاعلية الرمزية تركز اهتمامها على دراسة التفكير وعملياته.

فأصحاب النظرية التفاعلية يبدؤون بدراستهم للنظام التعليمي من الفصل الدراسي (مكان حدوث الفعل الاجتماعي). فالعلاقة في الفصل الدراسي والتلاميذ والمعلم، هي علاقة حاسمة لأنه يمكن التفاوض حول الحقيقة داخل الصف، إذ يدرك التلاميذ حقيقة كونهم ماهرين أو أغبياء

أو كسالى. وفي ضوء هذه المقولات يتفاعل التلاميذ والمدرسون بعضهم مع بعض، حيث يحققون في النهاية نجاحا أو فشلا تعليميا.

2- نشأة وتطورت النظرية التفاعلية الرمزية:

صاغ المفكر السوسيولوجي، جورج هربرت ميد(G. H. Mead) أسس النظرية التفاعلية الرمزية، والتي ساهمت بدورها، في مضامين عالجت تفاعل الناس فيما بينهم، سعيا منهم لتحقيق المنفعة الذاتية، ونتيجة هذه النظرية مفاهيم الثقافة الفرعية والتي وظفت في علم الجريمة وفي عدة فروع أخرى من علم الاجتماع كالشّباب، والشيوخ، والمرأة وغيرهم كأنساق اجتماعية تقوم بدور ما في محيطها الاجتماعي ونتيجة التصور الذاتي لنفسها.

حيث تأسست النظرية التفاعلية الرمزية، بصورة فعلية إبان نهايات القرن التاسع عشر، وشارك في تأسيسها علاوة على ميد، جورج زيمل حيث تعتقد التفاعلية الرمزية، بأن الحياة الاجتماعية شبكة معقدة تنسجها العلاقات والتفاعلات بين الأفراد والجماعات فيما بينهم، والتي تكون الحياة الاجتماعية، وهذه التفاعلات تأتي على شكل رموز توافق عليها أبناء المجتمع.

3- مفاهيم وفرضيات النظرية التفاعلية الرمزية:

3-1- مفاهيم النظرية التفاعلية الرمزية:

أولا- التفاعل :

التفاعل وهو سلسة متبادلة ومستمرة من الاتصالات بين فرد وفرد أو فرد مع جماعة، أو جماعة مع جماعة.

ثانيا- المرونة:

ويقصد بها استطاعة الإنسان أن يتصرف في مجموعة ظروف بطريقة واحدة في وقت واحد، وبطريقة مختلفة في وقت آخر، وبطريقة متباينة في فرصة ثالثة.

ثالثا- الرموز:

وهي مجموعة من الإشارات المصطنعة، يستخدمها الناس فيما بينهم لتسهيل عملية التواصل، وهي سمة خاصة في الإنسان. وتشمل عند جورج ميد اللغة، وعند بلومر المعاني، وعند جوفمان الانطباعات والصور الذهنية.

رابعا- الوعي الذاتي:

وهو مقدرة الإنسان على تمثل الدور، فالتوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة، هي بمثابة نصوص يجب أن نعيها حتى نمثلها، على حد تعبير جوفمان.

2-3- فرضيات النظرية التفاعلية الرمزية:

أوجزر هربرت بلومر صياغة للفرضيات التفاعلية في مايلي:

- إن البشـر يتصـرفون حيال الأشـياء على أسـاس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.
- هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
- وهـذه المعـاني تُحور وتُعـدل ويتم تـداولهـا عبر عمليـة تـأويـل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

هذه الفرضـيات الثلاث تتطابق تقريبا مع الأقسـام الثلاثة لكتاب ميد: العقل والذات والمجتمع .ونقطة البدء عند ميد هي مناقشـته للخصائص التي تفرق الإنسان عن الحيوان .وقد استقر رأيه شأنه شأن الكثير من المفكرين على أن الفرق بين الكائنين إنما هو في استخدام اللغة. أو الرمز الدال، واهتم بالتوسـع في دراسـة مضـامين ذلك .فالحيوانات تدخل في محادثات إمائية إلا أن من الخطأ القول إنها تتواصـل مثل الإنسـان .فعندما ينخر كلب على آخر ويتراجع الآخر يشـعر أحدهما بالعدوانية بينما يشعر الآخر بالخوف ولكن لا يوجد في ذلك فهم متبادل .

أما إذا أردت تحذير أحد طلبتي ر ا لأنه أخذ من وقتي أكثر مما يجب فإنني في العادة لا أكشـر عن أسـناني وأنخر بل أقدم له سـببا أظن أنه سوف يفهمه .

والفرق هنا هو أن الرمز الدال على عكس الاماءات الحيوانية يحدث ردة الفعل نفسها في أنا كما يحدث في نفس الشخص الآخر والعكس بالعكس، حيث إن كل واحد منا في عملية تبادل الحديث يتخيل نفسه في مكان الآخر .أما الكلاب فهي ليست بقادرة على حد علمنا على تمثيل دور الآخر في احتكاكها ببعض بتلك الطريقة؛ أي أن اللغة أو الرمز الدال هو الذي يصنع الفرق.

4- أهم رواد النظرية التفاعلية الرمزية:

4-1- جورج هربرت ميد 1863-1931:

استطاع جورج ميد في محاضراته التي كان يلقيها في جامعة شيكاغو على طولِ الفترة من (1894-1931) أن يُبلور على نحو متقن، الأفكار الأساسية لهذه النظرية، وقد جمع له تلاميذه كتابا بعد وفاته، يحتوي على معظم أفكاره التي كانوا يدونوها في محاضراته، تحت عنوان (Mind, Self and Society 1934) : فيعتبر جورج ميد G.H.Mead أن التنشئة الاجتماعية نتاج عملية التفاعل أولا مع الآخر ذي الدلالة ثم مع الآخر العام: فالطفل في مرحلة الأولى يعيد إنتاج داخل ألعابه سلوكيات محددة ثم في مرحلة ثانية يمكنه وهو يلعب وحده إبداع الدور الذي يختاره والتعبير عنه كما يفهمه، بمعنى أن الطفل في الفترة الأولى يختار أدوارا معينة برغبة منه سواء وحده أو مع غيره، مثلا كدور أمه أو أبيه أو بطل أو شرطي...فيقوم بهذه الأدوار عن طريق حركات رمزية محددة وكأنه يستبطن في داخله أدوار

غيره، هذا اللعب الحر هوا لذي يؤهله في الدخول على المرحلة الثانية والتي يسـميها ميد" G.H.Mead دلالات الآخر"Les autres signifisatifs أو الآخر ذو المعنى ثم ينتقل الطفل من اللعب الحر على اللعب المنظم فمثلا حين يريد الطفل لعب كرة القدم مثلا يجب احترام قواعد معينة واخذ ادوار ومواقع محدد بدقة إلى حد ما، وعلى كل فرد في الفريق احترام مكانه وتموقعه داخل الملعب، فكل عنصـر في الفريق له علاقة بما يطلق عليها جورج ميد الآخر المعمم أو الآخر العامL'autrui généralisé فمعرفة القواعد وكل دور خاص بكل فرد داخل الفريق من طرف زملائه في الفريق يجعل من كل واحد يرتبط من خلال علاقة الآخر، ومن هنا فإن التنشـئة الاجتماعية عند ميد عبارة عن بناء للذات من خلال احتلال أدوار مختلفة باستمرار، فهي تدل على ان الفرد يمكن أن يكون الموضوع والمضمون في آن واحد "Sujet et Objet"فالأنا تتضـمن مواقف المجموعة "الآخر العام" إضـافة إلى السـمات والعادات الخاصـة بالمعني أي البعد الاجتماعي لشـخصـية الفرد للفرد، لكن "الذات (Le Je) "تمثل عكس ذلك الجانب الفرداني للشخصية وتشعره بنوع من الحرية والتذمر ومن ثم مخالفة ومن هنا يقع بين مد وجزر، ومن خلال هذا البناء للهوية تظهر سـلوكيات مختلفة عن بعضـها، كلما زاد التفاعل بين الأنا والذات زاد التفاعل بين الفرد والمجموعة.

4-2- هربرت بلومر 1900-1986:

وهو يتفق مع جورج ميد في أن التفاعل الرمزي هو السمة المميزة للتفاعل البشري، وأن تلك السمةَ الخاصة تنطوي على ترجمة رموز وأحداث الأفراد وأفعالهم المتبادلة. وقد أوجز فرضياته في النقاط التالية إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء بالنسبة إليهم هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي الإنساني هذه المعاني تحور وتعدل، ويتم تداولها عبر عمليات تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشاراتِ التي يواجهها، بالإضافة التي قدمها بولمر للتفاعلية الرمزية هي أنه لم يحدد عملية التفاعل ولم يحصرها بالأفراد فقط. بل يرى حدوثها بين (الأفراد، المؤسسات، المنظمات، الجماعات المحلية، الطبقات.

4-3- إرفنج جوفمان 1922-1982:

وقد وجه اهتمامه لتطوير مدخل التفاعلية الرمزية لتحليل الأنساق الاجتماعية، مؤكدا على أن التفاعل – وخاصة النمط المعياري والأخلاقي ما هو إلا الانطباع الذهني الإرادي الذي يتم في نطاق المواجهة، كما أن المعلومات تسهم في تعريف الموقف، وتوضيح توقعات الدور. لعل من أشهر كتبه "تقديم النفس في الحياة اليومية"1971م The Presentation of Self in Everday life ففي هذا الكتاب يقوم بعمل وصفي محض، وتصنيف لوسائل لعب الأدوار واستراتيجيتها.

5- أسس النظرية التفاعلية الرمزية:

من أهم الأســس التي تقوم عليها نظرية التفاعلية الرمزية هي تحليل المواقف والأحداث المختلفة من خلال معالجة المعاني الذاتية التي يقوم الأشخاص بفرضها على الأحداث والسلوكيات من حولهم.

في هذه النظرية تأخذ المعاني الذاتية لتفسـير الأشـياء الأولوية؛ لأن الأشـخاص هنا يتصـرفون بناءً على ما يؤمنون به فقط بغض النظر عن المعنى الحقيقي للأشياء.

كما يعد تعريف الموقف من أهم أسـس التفاعلية الرمزية؛ حيث أن الكثير من تقاليد المجتمع هنا يتم بناؤها من خلال التفسـير البشـري لسلوك الآخرين وتلك التفسيرات هي التي تُحدد ملامح الرابطة الاجتماعية ولذلك يُطلق على هذه التفسيرات اسم (تعريف الموقف ــ definition of the situation) .

6- أهم الانتقادات الموجهة للنظرية التفاعلية الرمزية:

بالرغم من أهمية النظرية التفاعلية الرمزية وإثرائها لمجال النظرية السوسيولوجية المعاصرة، إلا أنها تعرضت أيضا للعديد من الانتقادات ومن بين الانتقادات الموجهة لهذه النظرية نذكر مايلي:

- يرى بعض العلماء أن التفاعلية الرَمزية كنظرية سوسيولوجية قد تخلت كثيرا عن استخدام الأساليب العلمية التقليدية، وخاصة لأن أصحابها رؤا أن مضمون اهتماماتهم وقضاياهم التي ترتبط بالذات أو الوعي تتصف بالدراسات المتنوعة التي يصعب عليهم استخدام الأساليب الكمية، والتي يمكن أن تساعد عمليات الترميز، والتصنيف، أو حتى

الحصـــول على أرقام محددة، وهذا ما تخلى عند رواد التفاعلية الرمزية وجعلهم يبتعدون عن خاصية الموضوعية، واستخدام العلم عند تحليل قضايا النظرية ومشكلاتها الأساسية.

- ظهور العديد من التحليلات والتصورات الغامضة وهذا ما جعل العديد من القضايا والمسلمات غير قابلة للاختبار مما أدى لعدم الوصول إلى القوانين والتعميمات العامة حول التفاعلية الرمزية.
- أكدت التفاعلية الرَمزية على أن المجتمع تفاعل رمزي دون أن تشـــير إلى أنماط الظروف مهما كان نوع التفاعل الذي يؤدي إلى ظهور وانبثاق أي نمط من أنماط بناء اجتماعي واستمراره .وتغييره في سياق أي ظرف من الظروف.
- إهمال التفاعلية الرمزية في معظم تحليلاتها لدراســـة البناءات الكبرى، وهذا ما جعلها غير قادرة على التنبؤ خاصـــة في القضـــايا التي حاولت معالجتها بصورة نظرية وميدانية واقعية في نفس الوقت.
- إخفـاق التفـاعليـة الرمزيـة في تحليـل الكثير من المفهومـات والتصـــوّرات والعوامل الســـيكولوجية، إن لم تكن قد أهملتها تماما ومن أهم هذه المفهومات :الحاجات، الدوافع، التوتر والإلهام .وإن كانت قد ركزت فقط على دراسة المعاني، والرموز، والفعل والتفاعل.
- ســـعت التفاعلية الرمزية لدراســـة وتحليل المواقف الحياتية اليومية، التي تتم تتميز بالمواقف الســـريعة والســـطحية دون التعمق في

دراسة طبيعة التفاعل الذي يحدث في المواقف غير الظاهرة في المجتمع كحالات الجريمة والانحراف والظل الاجتماعي ككل.

خلاصة:

إن النظرية التفاعلية الرمزية، لا تقدم مفهوما شاملا للشخصية فأصحاب النظرية وعلى رأسِهم بلومر يقرون بأن هذه النظرية يجب ألا تشغل نفسها بموضوع الشخصية كما ينشغل بها علم النفس. وهذا سبب واضح، ومبرر جوهري على قلة الاستفادة من هذه النظرية في الميدان التربوي، على الرغم من وجود بعض الأبحاث القليلة المنشورة هنا وهناك كما أن التفاعلية الرمزية أغفلت الجوانب الواسعة للبنية الاجتماعية لذلك نجدها لا تستطيع قول أي شئ عن ظواهر اجتماعية كالقوة والصراع والتغير، وأن صياغتها النظرية مغرقة في الغموض، وأنها تقدم صورة ناقصة عن الفرد.